دمية محطمة..

دلال الدلال

بعد أن عدنا من رحلة شهر العسل التي كانت أسبوع بشرم الشيخ، رفض عمار أن نذهب للفيلا التي ورثتها عن أبي وصمم أن أغلقها،بعد أن قام الخدم بتنظيف الفيلا وتغطية الأثاث، تسلمت المفاتيح وودعتهم وانتقلت لشقة عمار الصغيرة ورغم أن إمكانيات عمار قليلة إلا أنه لم يرض أن أشارك معه بأقل النفقات،مر شهر العسل بسرعة وعاد عمار للعمل وبدأت أتقمص دور ربة البيت الذي لم أعهده، دخلت المطبخ وأحضرت الخضار واللحم وضعت اللحم على النار وبدأت في إعداد الخضار فسمعت صوت عمار يأتي من الخارج، انطلقت مسرعة وأنا أحل مريلة المطبخ من على خصري لأرد على حبيبي ولكن لم أجده!

تعجبت لقد سمعت صوته! إذن هي تهيؤات ولكن ما هذا كل النوافذ مفتوحة أنا متأكدة أني أغلقتها قبل دخولي المطبخ أو....أو قد أكون نسيت! أسرعت أغلقها وأنا مشوشة لا أعرف سبب فتحها، دخلت المطبخ نظرت بالقدر فلم أجد اللحم! القدر به الماء يغلي واللحم على الطاولة! كيف حدث ذلك؟

شعرت برهبة ولكني كذبت نفسي وغسلت اللحم ووضعته بالقدر وعدت لتنظيف الخضار فسمعت صوت مثل صوتي يناديني شعرت بخوفٍ شديد وبدأ قلبي يدق أسرعت لالتقاط الهاتف من فوق الطاولة وطلبت عمار:

-عمار أنا خائفة متى ستعود؟

-حبيبتي مما تخافي؟! أنا مازلت بالعمل ومازال النهارفي منتصفه لا تخافي شيء لن أتأخر.

عدت أستجمع شجاعتي وخرجت أبحث عن شاحن الهاتف لكن! ما هذا؟

النوافذ كلها مفتوحة وهناك صوت صادر من غرفتي وكأنه فحيح؛الصوت يناديني:

- ليلى، ليلى ثم ..ساد الصمت وأنا واقفة بمنتصف الشقة أنظر حولي وكل ما فيّا ينتفض وقلبي يدق دقات عنيفة ولا أستطيع التحكم بدموعي، استجمعت قواي وفتحت باب غرفتي لأجد شيء جعلني أصرخ ثم سقطت على الأرض وغبت عن الوعي ولم أفق إلا وعمار ينثر قطرات من العطر على وجهي وأنا ممددة على الفراش ،نظرت حولي ويداي مقبوضتان على " الملاية " ثم صرخت وأنا أردد لا ..لا ..وقفزت من فوق "السرير" وأنا أنظر لموضع جسدي عليه وأشير بنظرات متفحصة، وعينين مفتوحتين بلا رمشة واحدة وزوجي ينظر إليّ بذهول وأنا أقول:دميتي؛دميتي المفضلة كانت هنا وسكين مغروس بقلبها والدماء تملأ الفراش أين هي؟ ماذا حدث؟ هذه الدمية لم أحضرها معي تركتها بالفيلا؛ الفراش نظيف! ثم أجهشت بالبكاء فضمني عمار وأجلسني إلى جواره وأخذ يهدأ من روعي ويقول:

-لا تخافي لقد دخلت منذ خمس دقائق ولم أرى شيء مما قلت عنه، لقد وجدتك ملقاة على الأرض مغشيٍّ عليك ولم أعرف السبب، نظرت بالساعة لقد مرت ساعة كاملة منذ دخلت الغرفة، أسرعت نحو المطبخ وأنا أصرخ اللحم على النار لابد وأنه احترق وعمار يجري خلفي، ثم وقفت بلا حراك حينما لم أجد القدر على النار واللحم النيء مازال بالبراد حتى الخضار لم يخرج من الأكياس جلست على

الكرسي واضعة مرفقي على المنضدة ساندة وجهي على كفي وأنا أبكي وأردد لقد جننت.. لقد جننت؛ ضمني عمار لصدره وقال:

-ماذا بك، ماذا حدث؟سردت له كل ما حدث في غيابه فقال:

-أعتقد أنكِ تتخيلي هذه الأشياء؛ فمازال المنزل غريب عليكِ أنا جائع وبما أن زوجتي الحبيبة لم تطهو الطعام اليوم، سأحضر لنا وجبة خفيفة لا تتحركي، وبدأ يخرج من "الثلاجة " بعض الأطعمة الخفيفة والخبز ولم ينس أن يفرغ لي كوب من عصير البرتقال الذي أحبه ويكرهه هو، دخلنا بعدها لغرفة نومنا مرة أخرى وأصر أن يساعدني في استبدال ملابسي بملابس النوم المريحة، اتجه للخزانة ليفتح بابها ولكنه وجد شيء غريب فالماء يسيل من الأدراج السفلية، فتحها فوجد الملابس مطوية وهي"مبلولة" سألني:

-ألم تجففيها وتنشريها على الحبل؟

-قلت الملابس مازالت بالغسالة أنا لم أخرجها، جريت نحو المطبخ فلم أجد الملابس بالغسالة ،عدت وأنا أؤكد له أنني لم أخرجها من الغسالة ولم أضعها بالأدراج "مبلولة "فهذا جنون!

صممت أن اترك هذه الشقة ولن أعود لها مهما حدث، ذهبنا في اليوم التالي للفيلا، دخلت غرفتي لأجد دميتي مازالت بمكانها لكنني لم استطع لمسها وخلدت للنوم بعد أن تركني عمار وذهب للعمل شعرت بيد تتسلل تحت الغطاء وتلمس ساقي ،انتفضت وجذبت ساقي وجلست وأنا أضم ركبتي لصدري، وأنظر حولي بنظرات مجنونة وأنا مترقبة وجود شخص بالمكان يتبعني وبدأت أسمع صوتها من

جديد بدأ واضحًا نعم نفس الصوت إنها أنا تناديني الصوت صوتي بنفس النبرة وكأنه آت من مكان بعيييد.

سرت خلف الصوت وأنا أسمع أنفاسها ونار تشتعل بظهري، الفيلا مظلمة والستائر مسدلة والأثاث مغطى بالمفارش البيضاء وكأنها أشباح تسكن المكان، أضأت المصابيح فإذا بي أجد خيالي يتوسط الحائط ويشير إليَّ، ثم بدأت تتضح ملامحه شيئًا فشيء لأتأكد أنها أنا!

نعم أنا ..بالتأكيد هذه هلاوس صوتي وصورتي تتبعاني أينما ذهبت، هذا شيء غريب قلبي يدق بعنف وجسدي بارد يرتجف، مشيت مسلوبة الإرادة أترنح وكأنني ثملة أسير بصعوبة نحو الحمام، أرى كل شيء يهتز ويفقد مكانه، دخلت الحمام لأرشق وجهي بالماء لعلي أستفيق، فتحت الصنبور واندفع الماء رشقت وجهي ببعض منه ورفعت رأسي لأنظر بالمرآة، وفجأة انتفضت وعدت بجسدي للخلف وكأني أريد الفرار ،ياللعجب لم أكن أنا تلك المرأة التي بالمرآة ،إنها امرأة أخرى مرعبة تبدو قبيحة تشهر في وجهي خنجر وكأنها جاءت من عالم الأموات لتتحداني، استدرت لأهرب منها لكن المرأة بادرتني بالحديث، قالت بصوتٍ مخيف له صدى:

-لما تهربين مني وأنا أنتِ؟ انظري جيدًا ماذا فعلتِ بنفسك؟ تحولتِ لمجرمة بدون قلب تعبت منك ومن مرورك على أجساد صديقاتك بعد أن دمرتي كل منهن وأخذتِ حبيبها كما كنت تفعلين بألعابك وأنت صغيرة، أتتذكرين تلك الدمى التي كنتِ تمزقيها وتلقي بها بسلة المهملات ليأتي لك أباك بغيرها؛اليوم جئت لأتخلص منكِ وسأدع لكِ تلك المهمة، هيا اقتلي نفسك تخلصي من ذنوبك، حرري نفسك

من الخطايا، أعيدي نفسك القديمة الطاهرة،هيا اقتلي نفسك ،اقتليني ،اقتليني كانت تتكلم و تضحك وتصرخ بآنٍ واحد تردد صوتها بكل أنحاء المنزل بينما أضع يدي على أذني لم أعد قادرة على سماع صوتها العالي المخيف.

جريت جريت نحو المطبخ وأخذت سكين و حاولت قتل نفسي لم أكن أنا! هناك يد تدفعني مأمورة بصوتها الذي يردد اقتليني اقتليني،وأنا أصرخ أريد أن أتخلص منك ابتعدي عني تعبت منكِ، تعبت منكِ، سأقتلك لأستريح، حتى دخل عمارعلى صوت صراخي وضمني من الخلف وأخذ السكين وأخذ يهديء من روعي بينما يقف الطبيب النفسي بالباب ومعه مساعديه بقميص مفتوح من الخلف ،ألبساني إياه وأنا أصرخ، وزوجي يبكي لحالي حتى دخلت سيارة الإسعاف وأنا لا أصدق كل ما حدث هل حقًا أنا مجنونة؟ وهل كل ما ذكرته كان خيال بعقلي المريض صمت صمت للأبد..

صعد زوجها لغرفتها ليخفي أقراص الهلوسة التي داوم على إعطائها إياها لمدة شهرحتى وصلت لتلك الحالة، ثم اتصل بزوجته السابقة:

-حبيبتي كل شيء على ما يرام، أتممت ما اتفقنا عليه، وستصبح كل أملاكها من حقنا وسنعود زوجان سعيدان وتعالت ضحكاته!